آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة السابعة : العددان الخامس والعشرون والسادس والعشرون - ربيع الأول ١٤٢٠ هـ - تموز (يوليو) ١٩٩٩م

■ كتاب الحلم والعلم لآدم بن أبي إياس العسقلاني - ٢٢٠هـ

* KITAB AL HILM WAL 'ILM, by Adam bin Abi Iyas Al 'Askalani - 220 A.H. - copy from the 7th century after Hijra.

نحو تأسيس نظرية تلقّي قرآنية

الأستاذ / مؤيد عزيز
جامعة الموصل - العراق

حينما نشرع في الحديث عن التلقي تواجهنا مجموعة من الأسئلة، تتطلب منا إجاباتٍ عنها؛ لكي يكون الحديث مقبولاً وله مسوّغ من الناحيتين التاريخية والوظيفية.

وأول هذه الأسئلة : لماذا نُعنى نحن العرب الآن بالتلقي؟ إن هذا السؤال يفرضه قيام جامعة عربية مرموقة بتنظيم ندوة حول التلقي. ترى هل نريد إيصال خطابٍ ما إلى الآخرين ندرك تعثر وصوله إليهم ، أم أننا بصدد مقاومة تأثير ما واقع علينا، يؤديه خطاب ما بطريقة مدروسة؟ ومن ثم فنحن بحاجة إلى دراسة كيفيات الإرسال والتلقي وتقنياتهما، والبحث عن عواملهما الفاعلة؛ لتفعيل ما هو إيجابي بالنسبة إلينا، وتعطيل ما هو سلبي.

إن الإجابة عن هذا السؤال تكمن فيما يمكن أن يمنح الدراسة مسوغها التاريخي، - لماذا الآن - في الوقت ذاته الذي يحدد وظيفتها. كما تفتح الإجابة آفاقًا للانتقال من الأدبي التخصصي المحض إلى الثقافي الحضاري العام، محققةً إمكانية إشراك ما هو معرفي مع ما هو وظيفي في تحديد ملامح أيّ نظرية تَلَقٍّ، سواء أكانت عربية إسلامية أم غير ذلك.

ومن محاولة الإجابة هذه سينبثق السؤال الثاني: لماذا نظرية تَلَقٍّ؟ وهل غايتنا أدبية جمالية أم إعلامية نفعية، يدخل في تكوينها الإعلان، وغسل الدماغ، وإعداد قادة الرأي؟ وبذلك سنقف إزاء مناقشة فلسفة النظرية التي نسعى إلى وضعها؛ لنتمكن من الإجابة عن سؤالٍ ثالث أوّلي جدًا وأساسي جدًا، وهو: هل نسعى إلى إثارة حاجات أم إلى إشباع حاجات؟

في خضم هذه الأسئلة التي يتوالد بعضها من بعض، والتي تحاصرنا بحاجتها إلى إجابات لا تنحصر في حدود الأدب، بوصفه نشاطًا بشريًا ينبثق من الإنساني الفردي، بوصفه منتجًا؛ ليفترش وعي الجماعة، بوصفه مجالاً حيويًا[1] يتبادل التأثير والتأثر مع المُنتج الأدبي؛ ليمدّ - أي الأدب - حدود تأثيره إلى الآخر القومي - الإنساني الشامل - فيمارس تفريغ محتواه المعرفي والوظيفي فيه فحسب، بل تتسع الإجابات لتشمل الحضاري والسياسي وفلسفات التربية والأخلاق.

فالغرب الرأسمالي، وبالنظر للتطورات التي شهدها على صعيد ظهور القوميات، والصراعات القومية التي شهدتها أوربا، وشاركتها فيها الولايات المتحدة الأمريكية، استلزم في جانبٍ أساسي منها، وبخاصة فيما يتعلق بالفكر والثقافات وارتباطات الهوية القومية بالثقافة، آليات وتقنيات لترويج الثقافة التي تريدها الدولة المعنية، وآليات وتقنيات للدفاعات الثقافية ضد ثقافات الآخر القومي، التي يمكن أن تؤثر سلبًا في البناء الاجتماعي الثقافي للدولة القومية. ولقد تجلى ذلك بوضوح في ألمانيا إبان

الحرب العالمية الثانية، وفي المدة التي سبقتها ومهدت لها، التي مارست فيها الحكومة الألمانية الدعاية من خلال «غوبلز»، الذي حاول من خلال ترؤسه «وزارة الرايخ لتنوير الشعب والدعاية» أن يخلق جهازًا حكوميًا للسيطرة على الفكر، يمكن أن يصلح نموذجًا للدولة الكلية، حيث ركّزت وزارة «غوبلز» تركيزًا شديدًا على التفصيلات الدقيقة لإنتاج الأعمال الأدبية ونشرها، والذي ساهم في ترسيخ الاعتقاد بأن ألمانية النازية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بجوهر الدعاية في القرن العشرين(٢)، الذي هو – كما يرى غوبلز – اشتراك تقديم الأنباء مع الفن بسمة تقديم صورة انتقائية (للواقع) و(الحقيقة الموضوعية).

وساهم التطور الاقتصادي والصناعي، والإنتاج الواسع، وتصريف السلع، وخلق الأسواق، والحاجات في البحث عن وسائل التلاعب بعقول الإنسان وحاجاته بما يخدم هذه المعطيات الاجتماعية الجديدة. كما ساهمت الارتباكات النفسية التي ظهرت في سلوك الإنسان الغربي في البحث الجدّي عن كيفية دمج الإنسان مع النسق الأيديولوجي الرأسمالي، وقبوله ومساهمته في تسيير الأمور كما تريدها الفلسفة الرأسمالية. كما لا يمكن أن ننسى هنا مقتضيات الغزو الثقافي في دراسة مؤثرات التلقي والاستجابة. وباختصار نقول: إن عواملَ كثيرة أدت إلى بحث الغرب عن نظريات لدراسة عمليات نقل المعلومة، ورفع درجات تقبلها ورواجها، تسمى نظريات التلقي. ولكن ليس من اختصاص ورقتنا هذه تعدادها ومناقشتها تفصيلاً، بل إن ما نريد الوصول إليه أن الاهتمام بالإيصال والتلقي ارتبط أساسًا بوظيفة اجتماعية وفلسفة حياتية، تحكم البناء الاجتماعي برمته.

ومن ثم فإن الاهتمام بنظريات التلقي، بالنسبة لنا كأمة، لا بدّ من أن يكون مرتبطًا بوظيفةٍ ما نريدها من هذه النظريات. هذه الوظيفة تحددها مواصفات المرحلة التي تمر بها الأمة. وأشدّ هذه المواصفات وضوحًا خطر فقدان الهوية الثقافية القومية للأمة. ومن هنا فإن انطلاق اهتمامنا وبحثنا عن وظائف معينة وفلسفة معروفة سيجعله مفتوحًا ليشمل الأوساط التربوية والاقتصادية والسياسية، وهو ما سيؤدي إلى مدّه بالخبرات والأموال اللازمة لاستمراره ونجاحه بالقرارات والإجراءات اللازمة لإنجاز معطياته. وبذلك سوف لا يكون محصورًا في الوسط الأكاديمي والأدبي فحسب.

مما سبق ننطلق في الإجابة عن التساؤلات التي طرحتها الورقة مدخلاً لها، فنقول: إن الأمة العربية الآن تعاني من جملة مشكلاتٍ سياسية واقتصادية وتربوية مرتبطة بالخرق الثقافي، الذي استطاعت أن تحققه الثقافة الغربية في ثقافتنا العربية الإسلامية منذ غزوة نابليون لمصر إلى الوقت الحاضر، مستفيدةً من الإمكانات العلمية والتكنولوجية والمالية والعسكرية التي تدعمها. كما أن هذه المشكلات مرتبطة بالتخلف المتعدد الذي كان يعاني منه المجتمع العربي في الوقت الذي هاجمتها فيه ثقافة الآخر المتفوق.

على عاتق المثقف العربي وظيفة أساسية سواء أكان أكاديميًّا أم غير أكاديمي، هي أن يوقف الخرق الثقافي الغربي (للأمة – الثقافة) أولاً، وأن يقدم ثقافة بديلة فاعلة ثانيًا. ومن ثم سيكون البحث في نظريات التلقي جزءًا أساسيًا وحيويًا في أداء هذه الوظيفة، من حيث إنه سيقدم السبل اللازم اتباعها لصد الهجوم الثقافي للآخر العقائدي والقومي في مجالات التربية والإعلام والدعاية، وسيقدم الوسائل اللازم استخدامها للحصول على تلقٍّ خلاق لثقافة الأمة.

بعد كل هذا الاسترسال في فتح مداخل الإجابة عن التساؤلات الأولى نقف لنبين حقيقة بالغة الأهمية داعمة لما أسلفنا، هي أن الأمة حينما تكون لها رسالة حقيقية، وهذه الرسالة تتمتع بقدرٍ من الاتساق الداخلي معرفيًا وعقائديًا ووظيفيًا وقيميًا، تكون

قادرة على إيجاد نظريتها في الإرسال والتلقي. ولا أحسب رسالة في تاريخ الأمم كانت بحجم الرسالة الإسلامية، التي كلف الله العرب بحملها إلى أمم الأرض كافة. ومن ثم سيقودنا البحث عن نظرية تلقّ عربية إلى القرآن الكريم مباشرةً؛ لأنه الرسالة الأعظم في تاريخ البشرية – كما نؤمن – ولأن مُنَزّل الرسالة هو الله الحكيم العليم عالم الغيب والشهادة وخالق الإنسان – المرسل إليه – والعارف بكل ما يؤثر في تلقيه لأيّ رسالة توجه إليه. وفقًا لهذه الحقائق سنحاول في هذا البحث تقديم تصوّر لنظرية تلقّ عربية إسلامية – قرآنية – تعتمد القرآن مرجعًا برهانيًا لها، ونظرية المجاميع الرياضية مصدرًا لافتراضاتها. على أساس (أن النظرية أي نظرية إن هي إلا افتراضات يُعمل على برهنتها وفق مسار برهنة معينة بالاعتماد على مرجعيات برهانية معينة)(٣).

مرتكزات نظرية

إذا ما وقفنا إزاء ثنائية: (النص – التلقي)؛ لندخل من خلالها إلى نظرية التلقي، فإننا سنواجه مفاهيم فرضها العصر، وتعدد أدوات اتصاله، وتعدد أشكال نصوصه – رسائله – فالكتاب والتلفاز والصحيفة والمذياع و(الانترنيت) كلها أدوات اتصال، والقصيدة والرواية والمقالة والفيلم السينمائي والبرنامج التلفازي والمنشور الدعائي والإعلان كلها رسائل، وكل منها مطالب أن يقوم بفعل الإيصال – ليتم التلقي – ولكي تؤدي هذه الرسائل وظائفها عليها أن تجد مداخلها إلى المُرسل إليه – المتلقي – ومن ثم ستكون أيّ نظرية للتلقي معنية بعناصر مجموعة التلقي وبالعلاقات القائمة بين هذه العناصر.

إذًا، نظرية التلقي إن هي إلا العلاقات المفترضة القائمة بين عناصر مجموعة التلقي التي تفسر لنا تفاوت درجات التلقي، وتقدّم لنا المؤثرات الفاعلة في رقي درجة التلقي أو تدنيها. وعليه أن أول ما نحتاج إليه في تأسيس المبنى النظري تحديد عناصر مجموعة التلقي. (انظر مخطط ڤن لمجموعة التلقي).

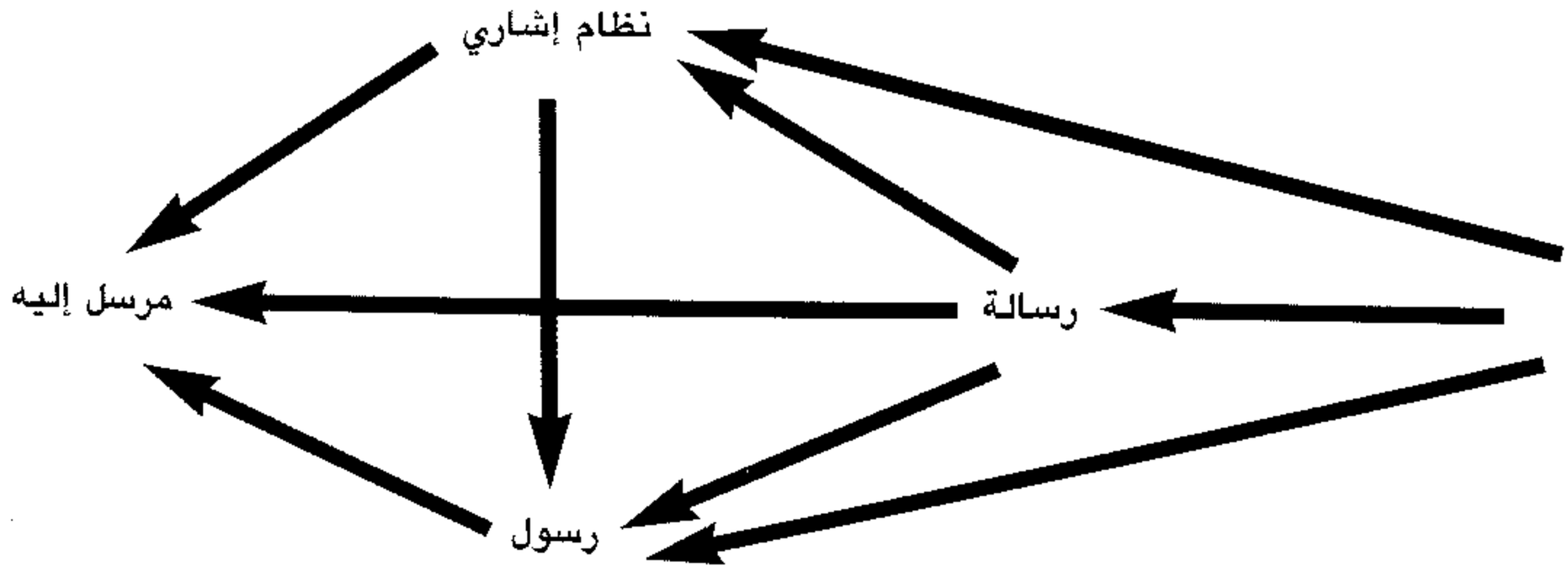

العلاقة الثنائية لمجموعة التلقي = الأزواج المرتبة

[(مرسل ، مرسل إليه) ، (مرسل ، نظام إشاري) ، (مرسل ، رسالة) ، (مرسل ، رسول) ، (رسالة ، نظام إشاري) ، (رسالة ، رسول) ، (رسالة ، مرسل إليه) ، (نظام إشاري ، رسول) ، (نظام إشاري ، مرسل إليه) ، (رسول ، مرسل إليه)]

مخطط ڤن لمجموعة التلقي والعلاقات الثنائية داخل المجموعة

تتألف مجموعة التلقي من [المرسل، والرسالة، وأداة التوصيل (النظام الإشاري، والرسول)، والمرسل إليه]. لقد أخذ بالحسبان أن (أداة التوصيل) تتألف من عنصرين أوليين يكوّنانها هما النظام الإشاري الذي يحمل محتواها المعرفي والوظيفي (كلمة، ولون، وحجر، ومعدن، والعالم برمته)، ووسيلة نقل الرسالة من المُرسِل إلى المُرسَل إليه (كتاب، وتلفاز، ومذياع، وشخص).

وإذا ما تذكرنا أن مواصفات عناصر المجموعة المعينة هي التي ستفضي في النهاية إلى تحديد مواصفات المجموعة، فإن هذا يعني أن عملية التلقي، بوصفها فعلاً تؤديه منظومة، يمكن تمثيلها بمجموعة، وستحدد مواصفاتها بوساطة مواصفات عناصرها، كما أن حركية المنظومة ستحدد من خلال حركية العلاقات القائمة بين عناصرها. وعلى أساس هذه الافتراضات لعلاقة المجموعة بالعناصر سيكون بإمكاننا تكوين نظرية في التلقي.

المبنى النظري

من المؤكد أن العنصر الأساس الذي لا يتم بدونه حدوث فعل التلقي هو (المرسل) الذي هو منتج الرسالة، وبوصفه منتجاً سيحدد مواصفات الرسالة ﴿**ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم**﴾(٤)، وسيحدد وظيفتها ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين**﴾(٥)، هذا من الناحية المنطقية التي تفترض (المرسل) عنصرًا مستقلاً متحكمًا بالرسالة من حيث اختياره أداة التوصيل – النظام الإشاري والرسول – ﴿**إنا جعلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون**﴾(٦)، ﴿**وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى**﴾(٧)، والمحتوى المعرفي ﴿**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**﴾(٨) والمحتوى الوظيفي.

يتم التعامل مع المرسل هنا بوصفه عنصرًا خارج المجموعة؛ لأن دخوله في المجموعة سوف لا يبقيه محتفظًا بهذه المواصفات حتى لو كان (عنصرًا مولدًا). ونعني بذلك أن المحتوى المعرفي والوظيفي الذي أراده منتج النص لا يكون – حتمًا – المحتوى ذاته الذي يصل إلى المتلقي في أثناء عملية التلقي: لأنه في عملية التلقي سيشترك مع عنصرٍ آخر من عناصر منظومة التوصيل الذي هو (المتلقي)، والذي يتلقى المحتويين (المعرفي والوظيفي) وفقًا لمواصفاته الذاتية، التي تتكون من ثقافته ﴿**وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾(٩)، وأخلاقه ﴿**يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرُّ مستكبرًا كأن لم يسمعها فبشره بعذابٍ أليم**﴾(١٠)، ومصالحه ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنًا قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم**﴾(١١). ومن ثمّ من الممكن أن يرفض المتلقي تلقي الرسالة كاملة ﴿**وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا**﴾(١٢)، إما بسبب اختلاف النظام الإشاري المستعمل في الإرسال مع النظام الإشاري الذي يتقنه المتلقي ﴿**ولو جعلناه قرآنًا أعجميًّا لقالوا لولا فصّلت آياته**﴾(١٣)، وإما بسبب رفض حامل الرسالة (الرسول) ﴿**وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم**﴾(١٤). وهو ما يعني أن شبكة العلاقات القائمة في منظومة التلقي بعناصرها الخمسة هي التي تحكم عملية التلقي. وليس أي عنصر منها مهما كانت أهميته في المجموعة، وبذلك سيكون فعل التلقي محكومًا بالعلاقات بين عناصر المجموعة، التي يمكن كشفها في الثنائيات الممكن توليدها من عناصر المجموعة التي سنسميها ثنائيات التلقي.

ثنائيات التلقي

إذا ما عددنا (النظام الإشاري والرسول) عنصرًا

واحدًا هو أداة التوصيل، فإن مجموعة التلقي ستكون مؤلفة من [المرسل، الرسالة، أداة التوصيل، المرسل إليه]، ومن ثم ستكون الثنائيات الممكنة التوليد (المرسل – الرسالة)، و(المرسل – أداة التوصيل)، و(المرسل – المرسل إليه)، و(الرسالة – أداة التوصيل)، و(الرسالة – المرسل إليه)، و(أداة التوصيل – المرسل إليه)، وستكون دراسة هذه الثنائيات واكتشاف العلاقات الكامنة بين كل زوج مكوّن لأي منها، وتحديد أثر هذه العلاقات في عملية التلقي، هي النظرية التي نطمع أن نؤسس لها.

أ – (المرسل – الرسالة) :

إذا ما عرفنا الرسالة أنها النظام الإشاري، وقد نظم ليحمل مضمونًا معرفيًا ووظيفيًا من قبل المرسل ﴿**كتابٌ فُصّلَت آياتهُ قرآنًا عربيًا لقومٍ يعلمون**﴾(١٥)، فإننا سنجد أن هذه الثنائية هي التي تشغل حيّزًا كبيرًا من الدراسات المعنية بالأدب وبدور المنتج – المؤلف – وهي التي تلعب دورًا في تحديد المناهج النقدية. فالدراسات التي تبحث في كفاءة مبدعٍ ما إنما تنطلق من نصوصه ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا**﴾(١٦)، وتبحث في درجة الإتقان القائمة في الرسالة؛ لتعكسها على المرسل، كما أن دراسة العلاقة القائمة في الثنائية تتيح الانتقال من النص إلى خارجه عبر المرسل، بمعنى دراسة البيئات الاجتماعية والفكرية المعاصرة والسابقة لإنتاج الرسالة من خلال الرسالة؛ لأنها متولدة عن علم المنتج بما كان وما هو كائن ﴿**فإن كنت في شكّ مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك**﴾(١٧). ولا يخفى على أحد أن هذه الثنائية التي يراها بعضهم أساسية في دراسة عملية التلقي، والتي يفرضها منطق العلاقات الرياضية داخل المجموعة، ينفي بعض آخر أثرها في التلقي – (موت المؤلف) –؛ لأن الرسالة بعد إنتاجها تنفصل عن مرسلها لينتج التلقي عن تفاعلها مع المرسل إليه دون أن يؤثر المرسل في فعل التلقي.

ب – (المرسل – المرسل إليه) :

إن العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، التي تلعب دورًا أساسيًا في سمو درجات التلقي أو تدنيها، هي العلاقة التي اختزلها القرآن الكريم بعلاقتي (الكفر): أي كفر المرسل إليه بالمرسل، و(الإيمان) حيث يلعب الكفر دورًا سلبيًا، في حين يلعب الإيمان دورًا إيجابيًا ﴿**وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً**﴾(١٨)، ﴿**وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا**﴾(١٩). ولقد أدركت الدراسات المعاصرة أهمية هذه الثنائية، وأثر الكفر والإيمان بالمرسل في تلقي الرسالة، وعالجت مشكلاتها من خلال صناعة قادة الرأي، أو توصيف المرسل بما يتسق مع المنسق العقيدي للمتلقي.

جـ – (الرسالة – المرسل إليه) :

إن التلقي بوصفه نقلاً معبّرًا عن علاقة بين فاعل ومنتقل يتأطر حقل حركية مؤثراته وتأثيراته داخل هذه الثنائية، ومن ثمّ يجد مجمل العلاقات بين الثنائيات القابلة للتوليد داخل مجموعة التلقي تجد موضعها التأثيري كامنًا في هذه الثنائية، ومن ثمّ فهي الثنائية المركزية التي تنتهي إليها كل العلاقات القائمة في الثنائيات الأخرى، ولأنها كذلك ستكون عملية التلقي دالّة من دوالها – بالمعنى الرياضي – سواءٌ في نظامها الإشاري الذي يؤدي اتساقه مع نظام التلقي إلى رقي التلقي ﴿**إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون**﴾(٢٠)، أو في محتواها الملائم لنسق المتلقي العقائدي ﴿**وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًّا**﴾(٢١)، الذي يرتقي بدرجة التلقي. وهو ما يعني أن علوّ درجة الاتساق بين الرسالة والمرسل إليه سيؤدي إلى سموّ درجات التلقي (تعقلون، تتقون، يعلمون)(٢٢)، والاتساق هنا توافقٌ في النظام الإشاري ﴿**عربيًا غير ذي عِوَج**﴾(٢٣)، ووحدة الهوية ﴿**وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبيّن لهم**﴾(٢٤)، ووحدة المسلمات البديهية ﴿**حكمًا عربيًّا**﴾ أو المرجعية البرهانية.

ومن ثم ستمثل العلاقة العامل الحاسم في مادة إنتاج ما أنتج، وفي تحديد اتجاه إعادة الإنتاج سواء أكان سلبيًّا ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾(٢٥)، ﴿**فبدَّلَ الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم**﴾(٢٦)، أم إيجابيًّا ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾(٢٧)، وهنا إعادة الإنتاج سلوكيًّا.

ولا يفوتنا أن نذكر أن ثمة علاقة في حالاتٍ خاصة من ثنائية (الرسالة – المرسل إليه) لا تسمح بإعادة الإنتاج مثل علاقة (القرآن الكريم) بوصفه رسالة مع الرسول الكريم بوصفه مرسلاً إليه ﴿**لا تحرّك به لسانك لتعجل به**﴾(٢٨).

إذًا ثمة أنماط مختلفة من العلاقات داخل الثنائية يخضع كل منها لمواصفات الرسالة والمرسل إليه، وهي مسألة أشار إليها ابن رشد حين صنّف الناس إلى (خطابية وجدلية وبرهانية)(٢٩). كما أن نظام العلاقات في الثنائية، وبحث هذه العلاقات، والتركيز على إحداها داخل الثنائية، هو ما يفسّر ظهور بعض التيارات في النقد الأدبي من حيث إن النقد ليس إلا نمطًا من أنماط العلاقة بين الرسالة ونوعٍ خاصّ من المرسل إليهم، أدّت خصوصية المرسل إليه إلى خصوصية العلاقة داخل الثنائية. هذه العلاقة التي نطلق عليها (النقد)، والتي تمتلك القدرة على تفسير المتغيرات، التي يمكن أن يحدثها المرسل إليه في المحتويين المعرفي والوظيفي للرسالة. وهو ما يساهم بدرجة كبيرة في إنتاج الدعاية السياسية والاقتصادية المنطلقة من الأدب(٣٠).

د – (أداة التوصيل – المرسل إليه):

تفاعل طرفي هذه الثنائية هو ما يمثل جزءًا حيويًا من التلقي، ومن ثم تعدّ دراسة كل طرف من أطرافها فعلاً واسعًا ومتشعبًا في الوقت ذاته من حيث إن أداة التوصيل، بوصفها عنصرًا من عناصر التلقي، تتكوّن من عنصرين هما: (النظام الإشاري الموصل للرسالة – حامل المعنى – والرسول) الذي يحمل الرسالة، ومن ثم هذه الثنائية في جوهرها ثنائيتان (النظام الإشاري – المرسل إليه) و(الرسول – المرسل إليه). والنظام الإشاري الذي يحدده المرسل هو في الواقع أنظمة إشارية، وليس نظامًا واحدًا، فاللغة والألوان والخطوط والحجر والمشاهد كلها نظمٌ إشارية، لكنها لا تصلح لكل مرسل إليه، مما يؤدي بها إلى اختيار الفئة التي يتم الإرسال إليها أولاً، وتحديد جنس الرسالة ثانيًا، ومن ثم خلق ثنائيات ثانوية داخل الثنائية الرئيسة ثالثًا. وهذه الثنائيات تمتلك علاقات أكثر خصوصية من تلك القائمة بين النظام الإشاري – أيّ نظام – والمرسل إليه. وهي في الواقع الثنائيات التي تساهم في كيفية تحويل الرسالة من ثنائية إلى أخرى؛ لإحداث تغيرات في الفئات المستقبلة للرسالة التي حددها بصورة مباشرة أو غير مباشرة المرسل، فيتحول المقروء إلى مرئي، والمرئي إلى مسموع، وهكذا، أو تنقل من لغة إلى أخرى.

وما ينطبق على النظام الإشاري ينطبق على (الرسول)؛ فثنائية (رسول – مرسل إليه) تؤثر في الأخرى علاقات متعددة يتيحها تعدد الرسل – كتاب، شخص، تلفاز، مرتبطة بثنائيات ثانوية يتم تشكيلها من كل رسول مع المرسل إليه ﴿**ولكل أمة رسول**﴾(٣١).

إن تعدّد الثنائيات الكامن في ثنائية (أداة التوصيل – مرسل إليه) أتاح لنظرية التلقي أن تتسع معرفيًا ووظيفيًا، وتدخل حقولاً متعددة من حقول النشاط الأساسي، مثل التربية والإعلام والدعاية والتعليم، ولتدخل من خلال هذه الحقول إلى حقول أخرى مثل (السياسة والاقتصاد والسياسة الخارجية والحرب والسلم)، ومن ثم لتلعب دورًا في مصير الأمم والشعوب، وذلك بإنماء عدد من تآليف الهوية القومية أو إفنائها.

خاتمـــــة

في خاتمة بحثنا نشير إلى :

أولاً : إن وضع نظرية قرآنية في التلقي بحاجة إلى الكثير من الجهد وإلى الكثير من العقول، وليس ما قدمه هذا البحث سوى وضع أسس عامة.

ثانيًا : لم يشر هذا البحث إلى ما توصل إليه باحثون في الغرب في نظرية التلقي لسبب بالغ الأهمية – في رأينا – هو الحفاظ على وحدة المرجعية البرهانية التي تحدد هوية النظرية.

ثالثًا : أغفلنا ثنائية (المرسل – أداة التوصيل)؛ لأنه تمّ التطرق إليها في المبنى النظري. ●

●●●

المصادر والمراجع:

١ – انظر: المرجعيات الثقافية والفلسفية لمناهج النقد الحديثة.

٢ – الأدب والدعاية: ٩.

٣ – انظر: المرجعيات الثقافية والفلسفية لمناهج النقد الحديثة.

٤ – الحجر : ٨٧

٥ – الإسراء :٩

٦ – الزخرف :

٧ – طه : ١٣.

٨ – الروم : ٥٨، الزمر: ٢٧

٩ – الأنفال : ٣١.

١٠ – الجاثية : ٨.

١١ – البقرة :١٧٤.

١٢ – الفرقان : ٣٠.

١٣ – فصلت : ٤٤

١٤ – الزخرف : ٣١

١٥ – فصلت : ٣

١٦ – النساء : ٨٢

١٧ – يونس : ٩٤

١٨ – البقرة : ٢٦

١٩ – القصص : ٥٣

٢٠ – يوسف : ٢

٢١ – الرعد : ٣٧

٢٢ – الزخرف : ٣، الزمر: ٢٨، فصلت: ٣.

٢٣ – الزمر : ٢٨

٢٤ – إبراهيم : ٤

٢٥ – النساء : ٤٦، المائدة: ١٣

٢٦ – البقرة : ٥٩

٢٧ – الزمر : ١٧

٢٨ – القيامة : ١٦

٢٩ – انظر: فصل المقال ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال.

٣٠ – راجع: الأدب والدعاية.